

## التقارب العربي الأفريقي

شهدت العلاقات العربية الأفريقية تراجعاً كبيراً خلال العقود الأخيرة . و بالرغم من المحاولات المتعددة التي بذلت من الجانبين للدفع الإيجابي لهذه العلاقات ، إلا أنها كانت في مجملها محاولات متعثرة ، لا تحقق المأمول من علاقات بهذه الأهمية .

و يهمني قبل استعراض تاريخ العلاقات العربية الأفريقية و المعوقات التي اعترضت سبيل تنمية هذه العلاقات بالشكل المأمول من طرفيها ، ان اشير إلي أن ثلثي عدد العرب يعيشون في أفريقيا ، و أن القارة الأفريقية هي الإمتداد الجغرافي و الطبيعي للعالم العربي ، و أن هناك عشر دول تجمع بين الهويتين العربية و الأفريقية و تنتمي للمنظمتين الإقليميتين :الإتحاد الأفريقي و جامعة الدول العربية و هو ما يجعل من هذه العلاقات حتمية لا بد منها .

السيدات البرلمانيات ،

لقد لعبت الدول الإستعمارية أدواراً متعددة في محاولات تفكيك عناصر الهوية الجامعة للأفارقة ، و في هذا الإطار وضعت استراتيجيات لفصل شمال القارة عن جنوبها علي أسس عرقية بين العربية و الأفريقية ، و قد انتشرت الأدبيات الغربية التي تكرر ذلك .

و ظهرت خلال هذه الفترة النظريات التي تشيع ظلماً أن العرب استعبدوا الأفارقة ، غير أن مشروع التحرر الوطني من الإستعمار ، و الذي قاده الرئيس المصري جمال عبد الناصر ، استطاع تجاوز هذه الإستراتيجية و تطويقها بالإعلان عن تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية عام 1963 و بتكاتف الآباء المؤسسين معاً لوقف هذه التوجهات الهادفة الي تفتيت القارة و اضعافها و إبقاءها في براثن القوي الإستعمارية .

إلا أن هذه التوجهات القوية نحو توحيد القارة ، اصابتها انتكاسة بواقعة تاريخية يطلق عليها مذبحة العرب في زنبار ، و التي حدثت إبان الثورة التي انطلقت عام 1964 بقيادة جون أوكولو و التي قضت علي سلطان العرب في الجزيرة و تعقبتهم قتلا و اعتقالا و اغتصابا و تهجيراً ، فيما وصف بأنه تصفية عرقية .

و قد انتبه العرب الأفارقة لمحاولات الوقيعة بينهم و بين باقي ابناء الدول الأفريقية الأخرى من خلال استغلال مثل هذه الواقعة ، فكان التوجه العكسي بالتكاتف معهم و مساندتهم في الكفاح للتخلص من الإستعمار ، و القضاء علي التمييز العنصرى و الأبارتيد . و تمثلت هذه المساندة في الدعم المادي و العسكري و اصبحت القاهرة علي سبيل المثال موطناً لكل حركات التحرر الأفريقية ، و صارت القضايا الأفريقية ، بندا رئيسيا في كلمات الزعماء العرب الأفارقة في كافة المحافل الدولية .

و قد شكلت الكتلة الأفريقية منذ ذلك ظهيرا سياسيا للحقوق العربية ، و ساندت المواقف العربية ، حتي أنها في عام 1973 التزمت الدول الأفريقية بمقاطعة اسرائيل دبلوماسيا ، كما قامت الكتلة العربية بمبادلتها الدعم و المساندة في مقاطعة النظام العنصرى في جنوب أفريقيا .

إلا أن الظروف التي تعرض لها العرب ، خاصة أعقاب مؤتمر مدريد عام 1971 ، و المعنى بمفاوضات السلام بين العرب و اسرائيل ، أدت إلي عدم اهتمام الدول العربية بأفريقيا بالقدر الكافي ، و ذلك في ظل الإنغماس الشديد في محاولات ايجاد الحلول للصراع العربي الإسرائيلى ، و التي تواكبت مع حدوث تغييرات في عدد من أنظمة الحكم العربية و التأثر بالتوجهات العالمية لصياغة المواقف علي أساس التكلفة و العائد .

و قد تواكب مع هذه التغييرات عدد من العوامل التي ساعدت علي إحداث التباعد العربي الأفريقي :

فمن ناحية ازدادت مشاكل العرب و قللت من قدرتهم علي المساعدة أو المساهمة في إيجاد حلول للمشاكل الأفريقية ، كما تزايد حجم التنافس الدولي علي القارة و علي الإستفادة من مواردها .

إلا أن المدخل الثقافي الإسرائيلى لأفريقيا كان أخطر هذه المداخل لأنه مؤسس علي أن اليهود و الأفارقة عانوا اضطهادا و تمييزا عنصريا ، و أثاروا مرة أخرى قصة تجارة الرقيق علي يد العرب .

و ظهر مشروع الأخدود الأفريقي العظيم في يونية 2002 ، و الذي تم طرحه أمام لجنة التراث العالمي باليونسكو ، و هو مشروع هدفه المعلن تحقيق التعاون الثقافي بين الدول التي تشكل الأخدود الممتد من وادي الأردن حتي جنوب أفريقيا . إلا أن الهدف الحقيقى - في تقديري - إلي تحقيق الإنقسام بين

العرب و الأفارقة ، و دفع الدول الأفريقية جنوب الصحراء ، للإعتقاد أن إسرائيل دولة صديقة لهم ، تسعى لمساعدتهم ، و الوقوف بجانبهم ، خاصة و أنها تشعر بمعاناتهم لما مروا به من تجارب مريرة ، مماثلة لما تعرضت له إسرائيل من قبل الدول العربية من ظلم و اضطهاد .

و لعل أبلغ دليل علي هذا المخطط الاسرائيلي ، هو ما جاء في كتاب "تيودور هيرتزل " مؤسس الدولة الصهيونية ، عن أن للأفارقة و اليهود تاريخ مشترك من الإضطهاد ، و جاء ذلك في إطار المبررات التي ساقها لاختيار أوغندا كوطن لليهود ، ضمن الخيارات التي طرحها في هذا الصدد .

إلا أنه في الواقع ، فإن أقرب الأجناس للجنس الأفريقي ، هو الجنس العربي ، و كما سبق أن ذكرنا فإن نسبة عالية من شعوب كلا الطرفين تنتمي لنفس القارة ، و هو ما يدحض كل ما أشيع خطأ عن استعباد او اضطهاد العرب للأفارقة . بل أن الحضارات في شمال أفريقيا امتدت لتشمل الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء ، و هناك من الدلائل الواضحة علي ذلك . بل أن معظم اللغات الأفريقية قد تأثرت باللغة العربية ، فاللغة السواحيلية هي هجين بين اللغات الأفريقية و اللغة العربية ، و نفس الشيء بالنسبة للغتين الصومالية و الهاوسا . و قد تأثر سكان الساحل الشرقي للقارة الأفريقية بالحضارة و الثقافة العربية و ساعدت حركة التجارة علي زيادة عدد العرب الذين استقروا في الدول الأفريقية و تزوجوا و انصهروا في المجتمع الأفريقي ، و زاد من وسائل التواصل العربي الأفريقي ، ظهور الدين الإسلامي و اعتناق الكثير من الأفارقة له . و قد وصل العرب حتي موزمبيق و مدغشقر جنوبا .

و لم يحدث تراجع حقيقي لكل ذلك إلا مع دخول المستعمر الأوروبي أفريقيا .

و لم تتوقف محاولات إسرائيل عند هذا الحد ، حيث حاولت تدعيم و دفع النزعات الإثنية و القبلية في الدول الأفريقية و اقناعها بالإنفصال و خلق كيانات اثنية ، حتي لا تكون إسرائيل هي الدولة الوحيدة القائمة علي أساس ديني أو عرقي .

و نتيجة لما سبق ، شهدت العلاقات العربية الأفريقية قدرا من الفتور الذي تصاعد إلي درجة من التوتر في بعض مناطق التماس . و بدأ تصوير مشاكل تحدث في بعض المناطق علي أنها مشاكل بين العرب و الأفارقة ، و من ذلك مشكلة دارفور و المشاكل التي نشبت في تشاد و النيجر و مالي ، بل حتي في

بعض الأحيان يتم التعامل مع قضية الصحراء الغربية من نفس المنطلق . و قد انشئ المعهد الثقافي الأفريقي العربي التابع لجامعة الدول العربية ، في مدينة باماكو ، عاصمة مالي ، لبحث المعوقات الحقيقية أمام نمو العلاقات العربية الأفريقية ، و إن كان للأسف يعاني من ضعف شديد في الإمكانيات التي تساعد علي تحقيق هذا الهدف .

و قد ظهرت عدد من المحاولات العربية المتعثرة للدفع بالعلاقات العربية الأفريقية ، و من هذه المحاولات آلية القمة العربية الأفريقية التي عقدت لأول مرة بالقاهرة عام 1977 ، ثم في مدينة سرت بليبيا في 2010 ، ثم في الكويت عام 2014 . و قد كانت للتوجهات الليبية الإيجابية دورا رئيسيا في جهود دفع العلاقات العربية الأفريقية و من ذلك انعقاد القمة الأفريقية العربية في مدينة سرت بليبيا عام 2010. و قد وصل الدعم الليبي للدول الأفريقية إلي حد دعم ميزانيات بعض هذه الدول و الإنتخابات التي تجري فيها ، و هو ما يفسر تأخر التأييد الأفريقي للتخلي عن القذافي و كذلك توجه الدول الأفريقية من الثورات العربية و خاصة بعد أن تم الإعلان عن مراجعة الإستثمارات الليبية في أفريقيا

و في تصوري فإن تحقيق التقارب العربي الأفريقي الذي يحقق مصالح الطرفين يجب أن يتأسس علي استراتيجية واضحة المعالم و قابلة للتنفيذ بعيدة عن سقف الطموحات الذي يصعب الوصول إليه ، علي الأقل في مراحله الأولى ، و أن تكون المظلة الي يندرج تحتها هي تحقيق المصالح المتبادلة للطرفين .

و في هذا الصدد ، اقترح عددا من المحاور :

-محور للتواصل الثقافي و الإجتماعي ، و أشير في هذا الصدد لأهمية الدور الذي يجب أن يتولاه المجتمع المدني بكافة فئاته ، و اهمها العلاقات بين منظمات المرأة بصفة عامة و البرلمانيات اللاتي تمثلن الشعوب في الطرفين ، بصفة خاصة . كما أن دور المنظمات الشبابية العرب و الأفارقة له أهمية كبرى .و أشير في هذا الصدد أيضا الي أن تعريف كل طرف بثقافات الطرف الآخر من خلال نشر و ترجمة الكتب و تبادل المهرجانات و الفرق الفنية ، و إبراز مفاهيم الترابط التاريخي و الثقافي و الديني .

-أهمية بناء قاعدة تكامل اقتصادي بين الدول الأفريقية و الدول العربية و اقامة شراكة استراتيجية بين الإقليمين العربي و الأفريقي . و أشير في هذا الصدد

الي دور القطاع الخاص و صناديق البنوك الوطنية و تجدر الإشارة إلي أن موضوع القمة العربية الأفريقية الثالثة التي عقدت في الكويت في 19 نوفمبر 2014 ، كان " شركاء في التنمية و الإستثمار " . و قد شارك في هذه القمة 32 رئيس دولة عربي و أفريقي و 71 وفد من القارة الأفريقية و المنطقة العربية . و ارتكزت الإستراتيجية التي طرحت في هذه القمة علي التعاون في عدد من المجالات أهمها الصحة و التدريب و التعليم و العلوم و التكنولوجيا و البحوث و الابتكار ، و كذلك الخدمات الأساسية مثل المياه و الصرف الصحي و المسكن و الغذاء و الطاقة .

و قد أعلن الأمير الشيخ الصباح ، أثناء القمة ، عن تقديم الكويت مليار دولار قروض ميسرة للدول الأفريقية و أعلن عن إطلاق استثمارات في أفريقيا لتحقيق التنمية .

-محور آخر هام هو التواصل الإعلامي بين العرب و الأفارقة ، فحجم المعلومات المتاح لدي كل طرف عن الآخر ضئيل للغاية ، و معظمها معلومات مغلوطة أدت إلي أنه أصبح هناك خلا و عرقلة لآليات تنفيذ أي مقترحات تساعد علي دفع و تعزيز العلاقات العربية الأفريقية .

و في تقديري أنه يجب وضع تصور استراتيجي لبناء علاقة خاصة و متميزة بين الجانبين ، مع وضع أولويات واضحة و أهداف متجددة تتلائم مع طبيعة المتغيرات ، و اختيار حزمة من المشروعات في عدة مجالات يكون فيها لكل دولة عربية و أفريقية نصيب من الإستفادة من الثروات و الموارد و المزايا النسبية و الخدمات الإنتاجية ، و أنه من الهام جدا الإعتماد علي المنظمات الشعبية و علي دور البرلمانين ، مع عدم إغفال أن المصالح الأمنية المشتركة بين العرب و الأفارقة ، و هو ما ظهر جليا في موضوع الإرهاب ، تفرض أن يكون الأمن القومي من المجالات التي يشملها التعاون بين الجانبين .

السيدات البرلمانيات ، لا شك ان التغيرات الدولية و الإتجاه إلي بناء التحالفات يفرض علي الجانبين العربي و الأفريقي ترسيخ أطر التعاون بينهما و تفعيلها ، و لنبدأ من هنا ،

أشكركم .